الأستاذ: ناعم هشام

المقياس: أسلوبية وتحليل خطاب

السنة: الثانية ليسانس

النوع: تطبيق

الفوج: 9 و 13 و 15

ألا يَا حَمَامَاتِ الحِمَى عُدْنَ عَوْدَةً فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَنُونُ
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ عُدْنَ لِشِقْوَتِي وَكِدْتُ بِأَسْرَارٍ لَهُنَّ أُبِيْنُ
وَعُدْنَ بِقَرْقَارِ الهَدِيرِ كَأَنَّمَا شَرِبْنَ مُدَامًا أَو بِهِنَّ جُنُونُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِمًا بِكَيْنَ فَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيُونُ
وَكُنَّ حَمَامَاتٍ جَمِيْعًا بِعَيْطَلٍ فَأَصْبَحْنَ شَتَّى مَا لَهُنَّ قَرِينِ
فَأَصْبَحْنَ قَدْ قَرْقَرْنَ إِلا حَمَامَةً لَهَا مِثْلَ نَوْحِ النَّائِحَاتِ رَنِينُ
تُذَكِّرُنِي لَيْلَى عَلَى بُعْدِ دَارِهَا رَوَاجِفُ قَلْبٍ بَاتَ وَهْوَ حَزِينُ
إِذَا مَا خَلَا لِلنَّوْمِ أَرَّقَ عَيْنَه نَوَائِحُ وُرْقٍ فَرْشُهُنَّ غُصُونُ
تَدَاعَيْنَ مِن بَعدِ البُكَاءِ تَأَلُّقًا فَقَلَّبْنَ أَرْيَاشًا وَهُنَّ سُكُونُ
فَيَا لَيْتَ لَيْلَى بَعْضُهُنَّ وَلَيْتَنِي أَطِيْرُ وَدَهْرِي عِنْدَهُنَّ رَكِينُ
أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالأَكُفِّ تَلِينُ

التعريف بالشاعر :

هو قيس بن الملوح بن مزاحم من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة هوى ابنة عمه ليلى بنت المهدي عم قيس وتكنى أم هالك .وكان قيس وليلى في صغرهما يرعيان الغنم لأهلهما عند جبل يقال له التوباد فنشأت بينهما علاقة حب اشتدت واستحكمت مع تطور الأيام ، فأدام زيارتها وإتيانها في ديارها بالليل وكانت العرب ترى في حديث الفتيان إلى الفتيات منكرا ، وكان يتحدث إليها بالنهار كله فإذا حل المساء ، انصرف فاشتهر أمره وصار عشقه حديث الناس ، وأنشد الأشعار في حبها واضطر أهلها إلى التفريق بينهما ومنعوه من زيارتها ولامه أهلها على ذلك فكاد يهلك من الآسي والحسرة .

تقدم قيس لخطبتها فكره أبوها أن يزوجها له ، وتقدم لخطبتها ورد بن محمد العقيلي ؛ فحملها أبوها على القبول فتزوجته كارهة ، فطاش عقل قيس بعد زواج ليلى ؛ فأكثر شعره فيها وهام على نفسه فكان يهذي بها ويهاجم ديار أهلها فشكوه إلى عمر بن عبد الرحمن بن عوف وكان يتولى جمع الصدقات في أيام مروان بن الحكم (٦٤ – ٦٥ هـ) فأهدر دمه إن حاول الاتصال بليلى .

جن جنون قيس واختلط عقله وترك الطعام والشراب وهام على نفسه في الفلوات يخاطب الوحوش والدواب حتى مات عام ٧٠ هـ .

شقوة : ألم وتعب .

أبين : أظهر وأكشف

قرقار : ترديد الصوت

الهدير : الصوت

المدام : الخمر

العيطل : الشمراخ الذي من طلع نخال النخل .

شتى : متفرقات

قرين : الرفيق والأليف والصديق

نوح : صوت البكاء

النائحات : الباكيات

رنين : تردد الصوت .

رواجف : جمع راجف وهي المضطرب

ورق : جمع ورقاء وهي الحمامة .

تألق : البرق الذي لا مطر معه

غمزوها : غمز : حرك .

أرياشا : جمع ريش

معاني الأبيات :

١ – يخاطب الشاعر بعض الحمامات وقد كانت تمر به – أن تعود إليه فإنه في غاية الشوق لسماع أصواتها .

٢ – لبت الحمامات قول الشاعر وطلبه وعادت إليه تدور حوله وتمر به تردد أصواتها، غير أن ذلك لم يكن في راحته بل سبب له ألما وتعبا فقد تجاوب الشاعر مع أصواتهن الحانية وحرك ذلك آلامه وأشواقه فأخذ يبث الحمام شكواه وأسراره .

٣ – لقد عادت الحمامات للشاعر تردد أصواتها وترجعها في جمال غريب لا تكل ولا تمل وكأنها لا تدري ما تقول فهي كالسكير الذي لعبت الخمر برأسه أو كأن بها جنون .

٤ – لقد كانت الحمامات في غاية الجمال لم تر عيني مثلهن من قبل وفي غاية الرقة شكوت إليهن حالي ، فبادلتني شكواي ببكائها الذي لا دمع له.

٥ –تشاركني هذه الحمامات مأساتي فهي مثلي تماما فقدت الأليف والوطن والحب ، كانت تعيش كلها مع أليفها ثم دارت الأيام فتفرقت عن أليفها وكانت تحيا في حب وسعادة ؛ فأصبحت حياتها كالشاعر تعيش في فرقة وفي ألم .

٦ /٧- ويلتفت الشاعر إلى إحدى الحمامات يقترن قرقارها بالبكاء والنواح تذكره بمحبوبته ليلى التي فارقته وتز وجت غيره ؛ فيرتجف قلبه ويبيت حزينا متألما على ما حدث .

٨- فإذا ما خلا الشاعر للنوم تأرق وتسهد ولم تستطع عينه أن تنام تماما كنواح الحمام التي تفترش الغصون ولا تستطيع النوم .

٩-تحاول هذه الحمامات أن تنام غير أنها لا تستطيع فتستلقي على أرياشها ساكنة تتقلب دون نوم كبرق كاذب لا مطر فيه أي معه .

١٠-وإذا ما تجاوبت الحمامات مع الشاعر وتجاوبت إحداهن معه ... انتقل إلى مأساته هنا يتمنى أن تكون ليلى حمامة من هذه الحمامات ، وهو الأخر أحد طيور هذه الحمامات يتعايشان في زمن يتوافر فيه الاحترام والتقدير لهما وليس الاضطهاد .

١١- غير أن ليلى لا تستطيع أن تنال حريتها فهي محكومة بأهلها وتقاليدها البالية ؛ فإذا أمروها أطاعت تماما كالعصا الخيزرانة إذا ما حركوها تحركت وكالدابة إذا ما غمزوها أي ضربوها تحركت ومالت كالدابة التي تميل برجلها في المشي .

تعليق أسلوبي :

١- تتناول الأبيات تجربة إنسانية لشاب معذب يخالط الطير والوحش فيخاطبها ويحادثها وتحادثه ويشكوها وتشكو له كنوع من التوحد "والتماهي" أي يصير الطير والإنسان شخصا واحدا .

فما تكاد الحمامات تمر بالشاعر حتى يخاطبها ويحادثها وكأن هناك ألفة بينهما يطالبها بالعودة فتعود وكأن هناك صداقة ومحبة بينهما وما تكاد الطيور تعود حتى تنشأ علاقة التفاعل بين الاثنين . هنا تبث الطيور للشاعر شكواها في شكل قرقرة هادرة في حنون صارخ وكأنها شربت خمورا فطاشت بمنطقها وهو الأخر يبثها شكواه وآلامه وأحزانه وأسراره بدموعه وهي تجاوبه ببكاء بلا دموع .

وتتشابه مشكلاتهما فهو قد فقد حبيبته وديارة وترك الأهل والإخوان والأصحاب فأصبح فريدا وحيدا لا أليف له ولا حبيب ، وهي الأخرى فقدت (أي الطيور) أليفها فكل طائر فقد أليفه وحبيبه وبعد عن وطنه وأهله وأصبح فريدا وحيدا .

ويجد الشاعر بينهن حمامة تشبه ليلى وتذكره بها ومحبوبته وهنا تنتابه المخاوف والأحزان فيعود إلى نفسه وقلبه الكسير وحياته التي لا راحة فيها ولا سكون بلا نوم كالبرق بلا مطر وكذلك هذه الطيور التي تفترش أغصانها بالريش غير أنها لا تستطيع النوم تماما كالشاعر .

وفي خيال الشاعر يتحول طيرا وليلى محبوبته تتحول طائرة ، غير أن خياله هذا يتحطم عندما يتذكر أن ليلى لن تتحرر من أسر وتقاليد أهلها ، وأنها مغلوبة على أمرها فيفوق من غفوته وتنتهي لحظة الاتحاد بينه وبين الطيور تماما .

٢–وتشير هذه التجربة من الناحية النفسية إلى تجربة شخصية مأزومة محطمة جعلته يترك دنيا النـــاس الـــتي تسببت في مأساته ورفض علاقة الحب التي يمر بها وأخضعت محبوبته وفرضت عليها التفرقة ، واتجهت به إلى عالم آخر تفاعل معه وتجاوب معه فبادله الشكوى والألم والدموع وهو عالم الحيوانات والطيور وفيـــه هـــذه الحمامات التي يستوقفها الشاعر موحدا بينه وبينها وبينه ومحبوبته ليلى التي يراها بينهم .

٣–وتتناغم الصورة الشعرية مع هذه الحالات النفسية ؛ فتبدأ وتنتهي هذه القصيدة بأداة التنبيه (إلا) ، غير أنها في أول القصيدة تفيد الاستعطاف ، وفي آخر الآبيات تفيد التأكيد . ويفيـــد النـــداء " يـــا حمامـــات " الاستعطاف والترجي ويتعمد الشاعر تكرار الفعل عدن في البيت الأول والثاني مع المصدر عودة لتأكيد حالة الألم التي يعانيها ، وكذلك استخدام الجمل المؤكد " بإن " مثل " فإني " إلى أصواتكم حنون " ، " ألا إنما ليلى عصا خيزرانة " وذلك للتأكيد .
وترد الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي في وصف الحمام في أفعال " عدن ، عدن ، كدت ، شربت ، بكين ، كن ، أصبحن ، قرقرن " وذلك لتكرير الحالة التصويرية للحمام ولتأكيدها ومضاهاتها بألمه ، وترد الجمـــل الفعلية المضارعة في التعبير عن حالته هو " تر عيني " ، " تذكرني " ، لتدل على استمرار حالة الشقاء الـــتي يعانيها . وفي إطار الاستمرار ترد الجمل الشرطية المعبرة عن هذا الشقاء " إذا ما خلا للنوم أرق عينـــه " ، " فلما عدن عدن لشقوتي " ، وفي المقابل شقاء محبوبته ليلى أيضا " إذا ما غمزوها بالأكف تلين " .

٤–وتقل الصورة الشعرية في القصيدة مرتكزة على التشبيه الذي يحمل وظيفة الإيضاح والتفسير في تصوير أصوات الحمام بأصوات المخمورين " عدن بقر قار الهدير ، كأنما شربن مداما أوهن جنون " وفي تـــصوير حالة السكون للنوم لكن بلا نوم كالبرق الذي لا مطر له :

تداعين من بعد البكاء تألقا فقلبن أرياشا وهن سكون

وفي تصوير صوت الحمامة بأنه نواح النائحات :

فأصبحن قد قرقرن إلا حمامة لها مثل نوح النائحات رنين

وفي تصوير ليلى بعصا الخيزرانة أو بالدابة التي تغمز فتلين :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

وكلها تشبيهات بسيطة تتوافر فيها عناصر التشبيه الأداء والطرفين والوجه.

٥–تتمثل رؤية القصيدة في بيتي قيس الأخيرين :

فياليت ليلى بعضهن وليتني أطير ودهرى عندهن ركين

إلا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تليـــن

وتتلخص هذه الرؤية فى أمل ورجاء قيس في لقاء ليلى ، والعيش معها حتى لو كانا طائرين ، غير أن ظروف البيئة وتقاليدها الصارمة وأوامر الأسرة الصارمة تفرق بينهما ، وتفرض على ليلى الزواج بآخر ، وتحرم قيسا ؛ فهو يعيش كسائر المحبين جميل وكثير وقيس بن زريح وعروة فى قسوة تقاليد باديتهم ومعاملتهم لحبهم ٠إن الشاعر بدلا من أن يسلو وينسى ويتلمس الحب مع أخرى يلجأ إلى التشبث بالأمل الضائع والوفاء للحـــب اليائس وترويض النفس على الرضا والصبر ...فهو في صراع بين أمل ويأس ملأ حياته بالحيرة والاضطراب والقلق .

وتعود أسباب هذا الحرمان وضيق المعاملة وقسوة التقاليد إلى فقر البادية من الناحية الاقتصادية ؛ فالحياة تعتمد على الرعي والصحراء مجدبة وقاسية . وزاد من ذلك أن الدولة الأموية لم تقدم للبادية من المال والمـــساعدة مثلما قدمت للحجاز من المال والثروة والجواري تجنبا لخطر الحجاز على سلطانها السياسي ؛ فلم تظهـــر في البادية الطبقة الأرستقراطية الغنية التي نشأت في الحجاز والتي ساعدت ظهور الغزل اللاهي.

فظلت البادية معزولة عن الحضارة والغنى والثروة ، فاحتفظت بتقاليدها الجاهلية ، وظلت المرأة على وضعها خاضعة لتقاليد صارمة تفرض عليها الحجاب والمنعة والرقابة محرومة من حقها في إثبات حقها في الوجـــود ؛ فحرمت من الحب وإبداء رغبتها فى زوجها ومن هنا نشأت مأساتها بل مأساة محبيها مثل قيس بن زريح وغيره